

أنا وأنت على الطريق

النساء والأطفال أكثر ضحايا الحروب تأثرا

ورد في أحد التقارير بأن النساء والأطفال هم أكثر ضحايا الحروب تأثرا في العالم الذي نعيش فيه. والتقارير التي تصلنا من العراق والسودان والأراضي المقدسة عن معاناة الأطفال والنساء تبدو مؤثرة للغاية. ونتساءل ونقول: متى تنتهي المعاناة؟ ومتى يعيش الناس في سلام وونام واطمئنان؟

نعم يا سيدتي المستمعة لا يزال الملايين من الأطفال يعيشون حياة التنقل والترحال والتشرد لسبب أو لآخر. ولا تزال هذه الشريحة العاجزة تتحمل الكثير من الصعوبات والأزمات من جراء الظروف الأليمة التي تصيبها، سواء كانت ظروفًا سياسية أم اجتماعية، أم اقتصادية.

ولقد لفت نظري ما قرأته مؤخرا عن اختبار بعض الشباب في مقتبل العمر بعد أن زرنا أحد الميتم للأطفال ويدعى اسمه: ميتم عش روبين، في جامايكا، حيث خرج من الميتم والدموع تملأ مآقيهن. وصرحت إحداهن قائلة: هذا ليس بعدل. نحن لدينا الكثير وهؤلاء الأطفال ليس لديهم شيء. وطيلة الساعتين اللتين زرنا فيهما هذا الميتم قال الكاتب، كانت هذه الفتاة الصبية تحمل طفلة حزينة بين يديها لم تعرف البسمة طريقا إلى وجهها. فلقد تعرضت للاعتداء والضرب والظلم والتعذيب من قبل والديها قبل أن تتم نجاتها. هذه الطفلة الصغيرة لم تكن تضحك أو تبتمس.

أجل، يا سيدتي هذه صورة واحدة من صور عديدة نجدها على أرض الواقع الذي نعيش فيه. وهذه الطفلة المتألّمة تبدو محظوظة لنا إذا ما قورنت بالكثيرين ممن لم يجدوا بعد أحدا يهتم بهم أو ينجيهم مما هم فيه من ويلات الحروب والتشرد والضياع والجوع والفقر. أليس كذلك؟

وأنا لا أحاول هنا أن أجعلك مكتئبة أو حزينة على أطفال العالم اليوم، لكنني يا سيدتي أريد أن ألفت نظرك إلى أن العديد من الأطفال، وعلى الرغم من أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين عالم التقدم والتطور والتكنولوجيا وما إلى هناك من وسائل ترفيهه، فإن الملايين من الأطفال يعيشون حالة الطفلة تلك من الضياع والتهان والعوز والفقر والتشرد والتعسف والظلم والاعتداء. وهم بأمس الحاجة إلى يد حنونة تمتد إليهم لتساعدهم. علمت مؤخرا أن هناك في السودان أهالي يحفرون حفراً في الرمال وسط الصحراء حيث يعيشون لكي يأووا فيها أولادهم في الليل.

فتكون الحفر والرمال التي تغطي أجسادهم بمثابة بطانيات أو حرامات تساعدهم على الشعور بالدفء ليلا من برد الصحراء القارس. فهل تستطيعين أن تتصورى هذا المشهد يا سيدتي؟ فحين نسمع بهذه الأخبار عن معاناة الأطفال في العالم اليوم لابد أن ننزعج ونحزن ونشعر بالأسى. فالظلم والتعسف والفقر والعوز بالإضافة إلى الإهمال الذي يعيشه الملايين من أطفال العالم اليوم قد جعلت حياة الكثيرين منهم تتحول إلى كابوس رهيب. والسؤال الآن يا صديقتي هو: إذا كان هذا الوضع الذي يعيشه الأطفال يضايقنا ويزعجنا فماذا تراه يفعل بقلب الله خالقهم وصانعهم؟ أجل ألا يحزن هذا الوضع قلب الله الحنون؟

يخبرنا الإنجيل بحسب البشير مرقس وبوحي من روح الله القدوس هذه الحادثة التي وقعت ودونت لأجل تعليمنا جميعا إذ يقول: "وقدموا إليه أولادا لكي يلمسهم. وأما التلاميذ أي الحواريون فانتهروا الذين قدموهم. فلما رأى يسوع ذلك اغتاض وقال لهم" دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم. " مرقس ١٠ : ١٤

إذا كان الفادي والمخلص يسوع المسيح يحزن ويستاء من معاملة تلاميذه أي حواريه للأولاد أفلا يغتاض ويحزن بالطبع على الملايين من الأطفال الذين تساء معاملتهم أو يعيشون حياة التشرد والفقر اليوم؟ بالتأكيد نعم. فهل لديك سيدتي أنت أيضا قلب حنون ينبض بالحب والحنان لكل طفل معوز ومحروم؟ هل تتحرك أحشائك كما تحركت أحشاء الفادي والمخلص يسوع المسيح؟ هل تمدد يد المساعدة لطفل محتاج ومحروم؟ هل تهين للاهتمام به وربما ضمّه إلى أولادك ليعيش بينهم ويصبح واحدا منهم؟ لما لا يا سيدتي؟ هل ترينه المحبة العملية التي هو أو هي بأمس الحاجة إليها؟ لقد علم الفادي المسيح تلاميذه درسا هاما حين استاء من انتهارهم لمن قدموا الأولاد له. فقال لهم: دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. والحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله. علمهم أنه لكي يدخلوا ملكوت الله عليهم أن يرجعوا ويصيروا مثل الأولاد. أي يقبلوا ملكوت الله كالأطفال ببساطة وبراعة. علمهم أنهم إذا لم يقبلوا دعوته بالإيمان البسيط لن يستطيعوا أن يكونوا في دائرة محبته والعلاقة الشخصية معه. أجل يا سيدتي إن يسوع المسيح يدعو الإنسان كل إنسان لكي يأتي إليه لينال الراحة والسلام الحقيقيين اللذين لا يجدهما الإنسان في هذا العالم الذي يعيش فيه. فهل تتقين يا سيدتي بدعوته لك أنت أيضا؟ وهكذا يصبح لديك قلب مثل قلبه يحن على الطفل المعوز والضعيف والمتألم والذي يعاني . وهكذا تصبحين أنت بالتالي ممثلة عنه تعالى في هذا العالم المليء بالمآسي والآلام.

فهل اختبرت السلام الذي يمنحه الرب يسوع المسيح ؟ إنه الوحيد الذي قال: سلاما أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يعطيكم العالم أعطيكم أنا.. وعندما تختبرين هذا السلام الحقيقي الذي ينتج عن الغفران الكامل لخطاياك، يصبح لديك قلب يهتم ويساعد ليجلب أملا جديدا لهؤلاء الأولاد المعذبين. فهل تفعلين؟
